الحج إلى مكة فرض ، وقاعدة من قواعد الاسلام ، كيف يعقل أن هذه الأمة ترى زيارة مشهد أفضل من الحج إلى مكة » . وانا هنا مواقف : إن الرحالة ناقل يخبر ، ولا يرد الخبر بهذا الاستنتاج العقلي ؛ فأتم التناقض على المفضلين لا على المخبر . ولا يقال لناقل الخبر إنك خاطىء ، بل يقال إنه كاذب أو غافل أو غير متحرا وما إلى ذلك . على انا لو جاوزنا هذا نرى التناقض المقود غير ما نحن فيه . فخبر الرحالة أو دعواه — ان شئنا — أن الشيعة تفضل مشهداً على مكة ؛ وكذلك تقول عبارة الأستاذ عزام فى نقده ، وتفضيل مشهد على مكة غير تفضيل زيارة مشهد على الحج إلى مكة ؛ ولا يلزم من تفضيل مشهد على مكة تفضيل زيارة مشهد على الحج إلى مكة ، كما يلزم من تفضيل مسجد الرسول عليه السلام على عرفات تفضيل زيارته على الوقوف بعرفة ؛ ولن ننسى أن الرحالة — فى نقل الأستاذ عزام — يخبر بتفضيلهم مشهداً — لا زيارتها — على مكة — لا على الحج إليها —

ح — والعجب أن الأخ الأستاذ يقحمني أيضاً فى مسألة الزيارة والحج ويضع فى رده خطاً تحت قوله « زيارة مشهد أفضل من الحج » كأنى كنت فيما كتبت مشتغلا بنقد استنتاجه لا بتصحيح خبر الرحالة من كتاب شيعى غير عامى ؛ والأستاذ بذلك يقول عنى إنى أدعى « على بعض المسلمين أنهم يفضلون زيارة كربلاء على الحج وهو قاعدة من قواعد الاسلام » وأنه فاتنى التثبت فى ذلك الادعاء . . الخ . ومن الفكه أن لفظتى « حج » و« زيارة » لم ترد فى كلمتى مطلقاً ، بل لم تقعا كذلك فيما استشهدت به من كلام العالم الشيعى المحدث مطلقاً ؛ ولم ترد إلا فى الفقرة المنقودة التى نقلتها من كلام الأخ عزام ، فكيف حملني عبء هذا الادعاء ؟ لا أدرى ! ولعله هو يدرى .

وأخيراً ، نقل الرحالة ثابت تفضيل الشيعة مشهداً على مكة متفق مع ما ينقله عالم شيعى عن عالم شيعى ويعدانه متواتراً ، وليس يتنافى هذا التفضيل مع فرضية الحج إلى مكة ، وليس يلزم من هذا التفضيل زيارة مشهد على الحج المفروض ، وهذا التفضيل لمشهد على مكة شىء آخر مغاير لتفضيل زيارة مشهد على الحج الى مكة ؛ وأسأل الله لى ولأخى الثبات والتثبت دائماً ؟

أمين الخولى

فى تاريخ الأدب المصرى

أيدمر المحسيوى

تتمة

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

أما الوصف فى شعر شاعرنا فهو وإن كان غير مقصود له بالذات يحدثنا كذلك عن بعض نواحى الحياة المصرية ، وبعض الجمال فيها ، يحدثك عن الطبيعة المصرية فى زمن الربيع ، فيصفها وصفاً دقيقاً ، ويحدثك عن الاحتفال بوفاء النيل ، فيصفه كأنك تراه ، ويصف لك الأبنية التى بناها الملك الصالح فيجعلك تشعر بالعظمة والأبهة اللتين تمتعت بهما تلك الأبنية . ويصف لك الجيش المصرى فتحس بالمجد المصرى والقوة المصرية والشجاعة المصرية التى لا تثنى عن قصد ولا تهزم أمام حصن مهما كان عظيماً . . قال يصف الجيش المصرى الذى فتح دمشق :

جيشاً تغص به الأرض الفضاء كما ... تراكم الغيم يوم الدجن ذا زجل
من الكماة التى تطوى ضلوعهم ... على العزيمة والاقدام ، لا الفشل
من كل أمضى من الهندى فى يده ... عزماً ، وأنفذ إقداماً من الأسل
يكون أثبت يوم الروع من جبل ... راس ، وأجول فى الصفين من مثل

ولننصت اليه حين يصف لنا الاحتفال بوفاء النيل ، وكأنه يصف لنا الاحتفال الذى لا نزال نراه بأعيننا فى كل عام ، قال :

يوم تجلى الدهر منه بزينة ... لما غدا المقياس وهو مخلق
هو ثالث العيدين إلا أنه ... لهو ، ليس على العبادة يطلق
جمعت لمشهده خلائق غادرت ... فيه رحيب البر ، وهو مضيق
وعلى عباب البحر من سباحه ... أمم يغص بها الفضاء ، ويشرق
كادت تبين لهم على صفحاته ... طرق ، ولكن يفتقون ويرتق

ثم مضى يصف الأنوار ، ويصف المليك يحف به حاشيته الى آخر ما وصف به ذلك اليوم ، فاذا أنت ذهبت تستمع إليه ، وهو يحدثك حديث إبداع عن طبيعة مصر فى الربيع سمعته يقول :

الروض مقتبل الشبيبة مونق ... خضل يكاد غضارة يتدفق
نثر الندى فيه لآلىء عقده ... فالزهر منه متوج ، ومنطق
وارتاع من مر النسيم به ضحا ... فغدت كأنم زهره تتفتق
وسرى شعاع الشمس فيه ، فالتقى ... منها ومنه سنا شموس تشرق
والغصن مياس القوام كأنه ... نشوان يصبح بالنعيم ويغبق

والطير ينطق معرباً عن شجوه ... فيكاد يفهم عنه ذاك النطق
غرداً يغني للغصون فتنثني ... طرباً جيوب الظل منه تشقق
والنهر لما راح وهو مسلسل ... لا يستطيع الرقص ظل يصفق
فتمل أيام الربيع ، فانها ... ريحانة الزمن التي تستنشق

فهو قد رسم لك بشعره ذلك صورة جميلة للرياض والزهر المتفتح الذي ارتاع من مر النسيم في الضحا فتفتحت أكمامه ، وقد كان الندى عليه كحبات العقد فأضحى عليها كالتاج أو النطاق ، ثم هذه الغصون المياسة كأنها سكرى والطير يغني على تلك الغصون فتهتز لهذا الغناء طرباً ، والنهر يصفق فرحا ، والشمس تلقي أشعتها على هذا الجمال كله ، فيبدو للمرء منظر هو أبدع ما في الطبيعة من مناظر الجمال .

٤

لشاعرنا المحيوى موشحات عارض بها سواه ، وهي تعد بحق من أجل الموشحات وأبدعها ، وهو أحياناً يسير على أوزان الشعر العربي ، وأحياناً لا يسير عليها ، وأنت تحس في بعض موشحاته بآثار الصنعة اللفظية ظاهرة جلية ، وهو حين يعارض سواه في موشحاته يضمن موشحه أول بيت من الموشح الذي عارضه ، ولذلك يضطره الحال إلى أن يدع المدح وينتقل منه إلى الغزل على عكس السنة المعروفة لدى الشعراء .

ولقد كان شاعرنا فخوراً بشعره الفخر كله ، مملوءاً به تيها ، يعتقد أن شعره يفوق شعر غيره ويسمو عليه حتى قال :

إن القريض — وإن تكاثر ساكنو ... أفيائه — للعبد فيه الأوحد

وكان أحياناً لا ينشد الممدوح قصيدته إلا بعد أن ينشده سواه ليتمكن الممدوح من أن يرى الفرق بين شعره وشعر غيره ، غير أنه في بعض الأحيان كان لا يجد مركزه وما يواتيه به الدهر متناسباً مع جودة شعره وبلاغة قوله فيشكو ويلح في الشكوى ، ويتألم أشد الألم ، ولقد كان شعره فضلاً عن عذوبته التي تحس بها جاريا على قوانين النحو والصرف إذا استثنينا بعض أخطاء لا تكاد تذكر ، غير أنه قد أخطأ حقاً حين قال يهنيء بالعيد :

لا أهني مولاي بالعيد إلا ... خوف تعطيل سنة تعتاد
فمن الجهل أن يهنا بعيد ... من به الدهر كله أعياد

فمع صحة المعنى لا نشك مطلقاً في أنه ليس من أدب الخطاب أن يقال لأحد لا أهنيك بالعيد في مفتتح الكلام ، ولكن شاعرنا لم يعن إلا بالمعنى وصحته بدون نظر إلى جمال الافتتاح وهو ليس أول من هفا تلك الهفوة بل سبقه بها سواه من الشعراء والشعراء المبرزين.

٣٠ ٣٠

نظم شاعرنا قصيدة طويلة سماها الوسيلة الشفعة في مناقب الخلفاء الأربعة ، وهي قصيدة طويلة تبلغ تسعة وسبعين ومائة بيت ، عدد فيها مآثر الخلفاء وذكر فضائلهم ، وبدأها برأيه فيهم كلهم وهو :

كل من الخلفاء غير محلأ ... عن مورد الشرف الذي لا يورد
ولهم سوابق أنزلت كل امرىء ... حيث اقتضاه له التقي والسؤدد
وأقر بعضهم لبعض بالذي ... يسمو به من فضله ويمجد
فمضوا ، ولم يتدافعوا حسناتهم ... كل لصاحبه يقر ويشهد

ثم مضى يعدد فضائل كل مبتدئاً بأبي بكر ، ذاكراً مآثره في الاسلام : فهو أول من آمن بالنبي ، ولما مرض النبي أنابه عنه في الصلاة ، فكان ذلك من النبي تقليداً له بالخلافة ، ولذا كان أولى الناس بها ، ولقد جمع أبو بكر أمر المسلمين بعد أن كادوا يتفرقون يوم السقيفة ، وحارب أهل الردة حرباً موفقاً أعاد للاسلام بهجته ، ثم حارب الروم والفرس ، وكانت خاتمة حسناته أنه ولى الأمر عمر من بعده ، وعمر هذا طالما نزل القرآن موافقاً لرأيه وما بدا له ، كما أن النبي كان يطلب من الله أن يعز الاسلام بدخوله فيه ، حتى إذا دخل فرح المسلمون ، وجهروا بدينهم بعد أن كانوا يخفونه ، لما كان له من المكان العظيم بين قومه وعشيرته ، حتى إذا ولى أمر المسلمين بعد أبي بكر سهر على الرعية ومصالحها بعين لا تغفل ، ففتحت الدنيا في عهده ، ودرت الخير الوفير على المسلمين ، فاذا أنهى عمر وتحدث عن عثمان ذكر له إعانته للمسلمين بماله ، وصومه وصلاته ، وزواجه من بنتي النبي وفضله يوم جيش العسرة ، ويوم بيعة الرضوان ، ثم رد على من ينتقصه بقوله :

نطق الكتاب بفضله فمن الذي ... يرتاب فيه جهالة أو يجحد
إلا كفور للهدى متنكب ... أو جاهل في غيه متردد
ولكبر ما تقموا عليه ضلة ... قربى تبر ، وهفوة تتعمد

ثم انتهى إلى علي فحدثنا عن قربه من النبي ، وتربية النبي له ، وزواجه من ابنته ، وإسلامه صبياً فلم يدنس الكفر نفسه ، ولم يجد لصنم طوال حياته ، ثم وصف عدله ، وعلمه ، وتواضعه ، وعبادته وورعه وزهده وشجاعته وبلاغته ، وكل هذا الحديث عن الخلفاء الراشدين ينطق بأن شاعرنا سني يفضل الخلفاء كلهم لا شيعي يقدم علياً على سواه ، بل هو يرتبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة ، غير أنه مما يلاحظ أنه أثنى على أبي بكر

وعمر بأعمالها بعد الخلافة ثناء مستفيضاً ، حتى إذا جاء إلى على وعثمان أثنى عليهما بفضائلهما الشخصية أكثر مما أثنى عليهما بأعمالها بعد الخلافة ، ربما يكون منشأ ذلك أن أبا بكر وعمر كانت أعمالها بعد الخلافة فى تثبيت دعائم الاسلام ونشر دعوته أكثر من زميليهما ، ومن أجل هذا كان الثناء المستفيض .

قبل أن نختم حديثنا عن صاحبنا المحيوى نريد أن نشير إلى أنه كان ناثراً مثلما كان شاعراً ، غير أن نثره لم أعثر عليه ، ولعلى أوفق يوماً ما إلى الاطلاع عليه ودراسته ، ولقد ألف كذلك كتابا أهداه إلى ولى نعمته محيي الدين محمد بن سعيد لا نعلم اسمه وإن كنا نستطيع أن نفهم موضوعه حين نقرأ قوله واصفاً إياه .

العبد أيدمر تطلب تحفة تكسى القبول لسيد الأصحاب
فرأى أجل هدية تهدى له ذوب النهى ، ونتائج الألباب
فأجال فى روض القرائح فكره ثم انتقى منه لباب لباب :

من طيب نادرة ، ولطف فكاهة
وبديع بادرة ، وحسن خطاب
وسوائر الأمثال قد وشحتها
فيه بمعجز سنة وكتاب
والجد موصولا بهزل ينشط الـ
ـقارى ، ويطرب أيما إطراب
ونوادر الحكماء والبلغاء ، والـ
ـخطباء ، والشعراء ، والكتاب
وجمعت فيه إلى سلامة رقة الـ
ـحضر اللطيف جزالة الأعراب
فأتاك كالحسناء قد لبست على الـ
ـزراء ثوب نضارة وشباب
والروضة الغناء أهدت نشرها
لريح الشمال ضحى غداة سحاب

فهو مجموعة فيها النوادر والفكاهات ، وفيها الأمثال والحكم ، وفيها طرف من نثر الخطباء والكتاب ، وبعض من شعر الشعراء ، فإنت تنتقل فيه من جد إلى هزل ومن هزل إلى جد ، فتطرب ولا تسأم القراءة ، وتلك طريقة معروفة لدى مؤلفى اللغة العربية فهم من قديم قد استنوا تلك السنة وساروا عليها فى مؤلفاتهم .

٦

لم نهتد إلى تعيين عام وفاته كما ضن علينا التاريخ بمعرفة عام ولادته ، غير أنه مما يروى عنه أنه كان لطيف المحضر فاضلاً مهذباً ، أحضر ديوان شعره إلى ابن العديم وكان قد حضر رسولاً عن السلطان الملك الناصر فتصفحه وأعجبه ، وكتب على الديوان : —

وكنت أظن الترك تختص أعين لهم إن رنت بالسحر فيها وأجفان .
إلى أن أتانى من بديع قريضهم قوافٍ هى السحر الحلال وديوان
فأيقنت أن السحر أجمعه لهم بقر لهم هاروت فيه وسحبان .

وعسى أن يواتينا الزمن يوماً بكل شعره ونثره ، وتاريخ حياته مفصلاً فندرسه دراسة مستفيضة تليق بلاغته .

أحمد أحمد بدوى
المدرس المنتدب بثانوية نابلس

كل قرش توفره

دعامة لاستقلال بلادك

اقتصد فالمال يعز الرجال

وضع ما تقتصده فى صندوق توفير

بنك مصر

فانه البنك الوحيد الذى يشجع التوفير

بمنح فوائد أعلى من غيره ، فضلا عن

حسن المعاملة وسرعة الانجاز